- 16 -

# سيبقى الكثير ليُعمل

أمضى جون أغريستو، منذ وصوله بغداد، مدة أسبوعين، لتصطدم خططه الحالمة بشأن إصلاح نظام الجامعات في العراق -الموضوعة في موطنه، نيو مكسيكو- بأرض الواقع. أدرك الرجل عدم إمكانية تحقيق أحلامه المتعلقة بتشجيع الحرية الأكاديمية، وافتتاح الكليات الليبرالية، قبل معالجة الدمار الناتج عما أعقب الحرب من أعمال للنهب. تعين على أغريستو الانتظار، حيث كان بحاجة إلى المقاعد، والكتب، وألواح الكتابة السوداء.

افتقر أغريستو -كبير مستشاري سلطة الائتلاف المؤقتة لشؤون التعليم العالي- إلى ما يحتاج من ميزانية. كانت ميزانية إعادة الإعمار الضئيلة، في أيلول/ سبتمبر 2003، قبل الحصول على التمويل الإضافي، تدار من قبل الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية. توجه الرجل إلى الأخيرة، عبر القصر، من ثمّ طلباً للمساعدة، بعد أن سمع بتخصيصها خمسة وعشرين مليون دولار للجامعات العراقية.

أخبر مسؤول برنامج الوكالة أغريستو أن الأموال قد خصصت بالفعل لتمويل المنح المقدمة إلى الجامعات الأمريكية الراغبة في إقامة شراكة مع الجامعات العراقية. فوجئ أغريستو بشدة لما سمع، ليسأل الرجل قائلاً: الجامعات الأمريكية؟، ماذا عن إعادة تأهيل المباني المنهوبة، والمكتبات، والمختبرات العلمية؟ أجابه الأخير قائلاً بإمكانية مساعدة الجامعات الأمريكية في ذلك، ناهيك عن حرية كل منها في التصرف بما تملكه من المال.

عقب أغريستو قائلاً: «حسناً، هل يمكنني، على أقل تقدير، الاطلاع على العروض المقدمة من الجامعات الأمريكية؟». اعتذر مسؤول الوكالة إليه، قائلاً بعدم امتلاكه الصلاحية للقيام بذلك.

هـدد أغريستو باللجـوء إلى القانون؛ بغية الاطلاع على تلـك العروض، ليتراجع البيروقراطيـون في واشنطن. قرأ الرجل الوثائق، بعد ذلك، عاجزاً عن تصديق ما ورد فيها.

تـم اختيار كلية الزراعـة الاستوائية، في جامعـة هاواي، لمشاركـة كلية الزراعة فـي جامعة الموصـل؛ بغية تقديم النصح فيما يتعلق «بالبرامـج الأكاديمية والتدريب الإضافـي». لم يكن مناخ الموصـل مغايراً للمناخات الاستوائيـة فحسب، بل افتقرت كذلك إلى مقر لكلية الزراعة، بعد أن أحرقه الناهبون بالكامل. تمثل ما كانت تحتاجه بالفعل في الحصول على مبنى جديد.

تـم اختيار إحـدى المجموعات -بقيادة جامعـة أوكلاهوما- للعمـل على «تطوير القيـادة» مع خمـس من الجامعات العراقيـة، بما يشمل جامعة الأنبـار في الرمادي. مثّلـت محافظة الأنبار المنطقـة الأكثر خطورة في العراق، وقـد كانت محظورة على الأمريكيين. تساءل أغريستو، من ثمّ، عن إمكانية التقاء أعضاء المجموعة الأمريكية مع نظرائهم العراقيين في الأنبار. فاز فريق من جامعة نيويورك، ستوني بروك، بمنحة بأربعة ملايين دولار «لتحديث مناهج علم الآثار» في أربع من أكبر الجامعات العراقية - حيث كان الطلاب يجلسون على الأرض لافتقارهم إلى المقاعد الدراسية.

تحدث أغريستو، بذلك الصـدد، قائلاً: «ماثل الأمر الذهاب إلى منطقة للحرب؛ بغية معالجة روائح الفم الكريهة!».

تطلـع أغريستو إلى التمويل الإضافي، مع سقوط الخيار المتمثل في وكالة التنمية الدوليـة. تناهـى إلـى مسامع الرجـل أن بريمر ينوي طلـب عشرين مليـار دولار من البيـت الأبيض، ليدرك حتمية حصول الجامعات العراقية على حصة من ذلك المبلغ الضخـم. تقدم أغريستو بما عـدّه طلباً متواضعاً للغاية، سائـلاً الحصول على سبعة وثلاثين مليون دولار، لا أكثر، لإعادة إعمار الجامعات.

رفض مكتب بريمر الطلب بلا توضيح للأسباب.

تلقى أغريستو، الجمهوري المقدام، في نهاية المطاف، قليلاً من العون من النائبة عن مدينة نيويورك، الديموقراطية نيتا لويي. أصرت الأخيرة، في أثناء المناقشات بشأن التمويل الإضافي في الكونغرس، على تخصيص 90 مليون دولار لمجال التعليم، بما يشمل ثمانية ملايين للجامعات العراقية.

لم يكن ذلك بالكثير، ليفوق في أفضليته انعدام التمويل بالمطلق. اكتشف أغريستو، فيما بعد، أن الوكالة طالبت بحق التصرف بالأموال. تحرك الرجل على الفور، ليبعث برسالة إلى بريمر، قائلاً: إنه يفضل عدم الحصول على المال بالمطلق، على تولي الوكالة مسؤولية إنفاقه. اتصل سكرتير بريمر بأغريستو، سائلاً إياه إعادة صياغة رسالته «النارية إلى أبعد الحدود».

واجه الرجل، بعد بضعة أيام، أحد مسؤولي وكالة التنمية الدولية، قبالة بركة السباحة، بما لا يخلو من انفعال، قائلاً: «لا تنفكون تتحدثون، طيلة الوقت، عن الكيفية التي نعمل بها معاً. لا نفعل ذلك على الإطلاق. لا تستمعون إلي مطلقاً. تعلمون أنني طالبت بسبعة وثلاثين مليون دولار؛ لأحصل على ثمانية ملايين، لا أكثر، في نهاية المطاف، كي تأتوا وتأخذوها على حد سواء. لن أسمح لكم بذلك».

تراجعت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، في نهاية المطاف، ليتعين على أغريستو العمل مع مجموعة جديدة من بيروقراطيي البنتاغون، الموكلين بإنفاق مليارات التمويل الإضافي. طولب الرجل باقتطاع خمس مئة ألف دولار رسوماً إدارية، ليوافق على مضض، قبل إطلاع مسؤولي البنتاغون على ما يود فعله بسبعة الملايين ونصف المليون دولار المتبقية: شراء معدات المخابر الأساسية لكل من الجامعات العراقية. أخبره البيروقراطيون أن ذلك سيستغرق بعضاً من الوقت، بالنظر إلى حاجتهم المتمثلة في كتابة طلبات العروض، وطرح المناقصات، وانتقاء الرابحين، وإدارة شؤون المشتريات والتوزيع. لم تصل أي من معدات المخابر إلى العراق، بحلول مغادرة أغريستو، في حزيران/ يونيو 2004، قبيل تسليم السيادة إلى العراقيين.

لـم تصـل، علاوة على ذلك، أي من المبالغ المقدرة بأربـع مئة مليون دولار، التي تعهد المانحون بتقديمها في مؤتمر مدريد، قبل أشهر من الزمن. فشل الرجل كذلك فـي الحصول على أي تمويل من سلطة الائتلاف المؤقتـة؛ بغية دعم «كلية الإنسانية» في جامعة دهوك – المشروع الذي جعل أغريستو راغباً في البقاء «لأجل غير مسمى». كان قد سأل القصر الحصول على ثلاثة ملايين دولار، لا أكثر، لبناء تلك الكلية.

التمسـ الرجل، بالنظر إلى قلة التمويل المتوافـر لديه، ما تصدر لائحته الأصلية من أهداف: تشجيع الحرية الأكاديمية، الذي لم يكن يكلف شيئاً.

عمـد أغريستـو، بمساعـدة محامي سلطـة الائتـلاف المؤقتة، إلـى وضع إعلان للحقـوق، من ثمانية بنود، يدعو إلـى «منح الجامعات الاستقلالية فـي إدارة شؤونها الأكاديميـة»، وضمـان «حرية الفكـر، والاعتقـاد، والملبس»، وحظر حيـازة الأسلحة فـي الجامعات وإرغام الآخريـن على «الانضمام إلى أي مـن المذاهب، أو الطوائف، أو الأعـراق، أو اعتنـاق أي من الأيديولوجيـات السياسية». مثّل ذلـك تحدياً مباشراً للناشطين الطلابيين من الشيعة، الذين دأبوا على تهديد أصحاب التوجهات العلمانية مـن الأساتذة الجامعييـن، وإرهاب الطالبـات؛ بغية دفعهن لارتـداء الحجاب. تبنى رؤساء الجامعات كافة إعلان الحقوق في شهر آذار/ مارس، وعمدوا إلى طباعته في ملصقات كبيرة، وتعليقه في الجامعات كافة.

ارتـأى أغريستـو في الإعـلان واحداً من أهـم إنجازاته، بالرغم مـن أنه لم يغير شيئـاً على أرض الواقع، باستثناء آليـة لقاء الوزير برؤسـاء الجامعات. بدا الإعلان جيـداً من الناحية النظرية، مثل قانـون المرور وغيره ممـا أصدرته سلطة الائتلاف المؤقتة، مـع الافتقار إلى الموارد الكافية لتطبيقه. لم تمتلك الكليات التمويل الكافي لتوظيـف الحراس؛ بغية مواجهة الناشطين الشيعـة، الذين واصلوا استعراض قوتهم فـي الجامعات، مرغمين النساء على ارتـداء الحجاب، ومطالبين بعطلات للاحتفال بالمناسبات الدينيـة. أشار تقي الموسوي، رئيس الجامعة المستنصرية، حين سألته عـن السبب الكامـن وراء عدم فرضه ما ورد في إعلان الحقـوق إلى جدران الأروقة،

التي كانت تعج بصور آيات الله، قائلاً: «يمثل الإعلان أمراً جيداً للغاية، وأتفق معه بكل تأكيد، ولكنني عاجز عن تطبيقه. ستكون مواجهة الطلاب من الخطورة بمكان».

أرسل مكتب الحكم في السلطة، بعد يومين من توقيع اتفاقية الخامس عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر، رسالة إلكترونية إلى أغريستو، ونظرائه من كبار المستشارين، مستطلعاً آراءهم عن قرار تسليم السيادة بحلول حزيران/ يونيو المقبل. كتب أغريستو رداً قصيراً على تلك الرسالة، قبل أن يعمد إلى إرساله إلى الجهات كافة في القصر، قائلاً:

«إن كنتم تسألون عن الكيفية التي ستؤثر بها مغادرة سلطة الائتلاف في كل ما حاولنا القيام به في وزارتنا، فسيتمثل الرد القصير والمحزن في وجود الكثير مما أملنا إنجازه، وبتنا نعلم بعجزنا عن بلوغه: تأهيل المناهج بصورة جدية، وإنشاء جامعة أمريكية، وإعادة تنظيم عشرين من الجامعات ضمن ما هو معقول من الأنظمة، وتأسيس كليات تجارية على النمط الغربي. يمكننا إرساء الأسس لكل من تلك الغايات، ولكن النظام سيطغى بقصوره، ما إن نغادر، بما يطيح بإمكانية تحقيقها. سنركز جهودنا، من ثمّ، على ما يمكن أن يتواصل بعد رحيلنا - إعادة إعمار البنية التحتية، والشراكة مع بعض الجامعات الأمريكية، وإقامة عدد من البرامج المتعلقة بالمنح الدراسية».

«ستتسم إجابتي بقدر أكبر من التشاؤم، إن كنتم تلتمسون رأينا فيما يتعلق بنقل السيادة. تسبب ثلاثون سنة من الطغيان كثيراً من الأمور الرهيبة للناس: تعزز ثقافة التبعية، وتحطم روح المسؤولية، وترغم الناس على الخضوع لمجموعات عشائرية، أو أيديولوجية، أو طائفية معينة؛ بغية الشعور بالأمن وتلقي الدعم. لا يزال من أعمل معهم، من الأساتذة الجامعيين، عاجزين عن الإيمان بقدرتهم على إنجاز أي من الأمور بمفردهم، بحرية كاملة، دون الحصول على إذن من أحد. لا

تجسـد الحرية، والديموقراطية، والحقـوق ما هو سحري من الكلمات. سيعود نقـل السيادة بشيء مـن «الديموقراطيـة»، لا بمجمل الليبرالي منها، المتضمن ما هو حقيقي مـن مفاهيم الحرية، والمساواة، وتعدد الفرص، من دون قمع الأزلام، أو الطوائف، أو الفئات».

لم تتبع مرارة أغريستو من خارج نطاق خبرته. عين مجلس الحكم، قبل أسبوعين من وصوله، خمسة وعشرين وزيراً. تمسك كل من الأعضاء بحصصهم في الحقائب الوزارية، وتعيين المسؤولين عنها. طالب محسن عبد الحميد، زعيم الحزب الإسلامي العراقي، المنظمة السنية المرتبطـة بجماعة الإخوان المسلمين الراديكالية، بوزارة التعليم العالي، ليعين زياد عبد الرزاق أسود، أستاذ الهندسة البترولية، الموالي بشدة لحزبه، على رأس تلك الوزارة. تمثل قرار أسود الأول في طرد رؤساء الجامعات كافة، بالنظر إلى رغبته في استبدالهم بحلفائه، السنة في معظمهم. لم يرغب أغريستو في التدخل في الشؤون اليومية للوزارة، ليضطر إلى توجيه الأوامر إلى أسود، الذي تجاوز حدوده كافة، بإلغاء القرار.

لـم يسبـق لأغريستـو العمل في أي مـن الديموقراطيـات الناشئة مـن قبل، لتعج مكتبته، في نيو مكسيكو، بما يتحدث عن تاريخ أمريكة بذلك الصدد. لم يكن تأسيس الديموقراطيـات بالأمر العسير، بل الليبرالي المعتدل منهـا. ارتأى الرجل أن سلطة الائتـلاف ارتكبت خطـأً جسيماً عبر اتبـاع نظام المحاصصة بيـن السنة، والشيعة، والأكـراد فـي مجلس الحكم، وإيلاء مقاعده إلى من اهتم مـن الساسة ورجال الدين بإغداق العطاء على محازبيه، عوضاً عن العمل من أجل مصلحة البلاد.

اعتقـد أغريستو جازمـاً أن العراقيين ما كانوا يركزون علـى الانقسامات الإثنية والدينيـة قبل وقوع الحرب، وأنهم دفعوا إلى ذلك مـن قبل نظام المحاصصة الذي أوجدتـه سلطة الائتلاف المؤقتة. لم يكن رأي الرجـل، ومن شاركه إياه في القصر، صحيحـاً بالمطلق. لم يثر العراقيون اختلافاتهم تحت حكم صدام، الخاضع لهيمنة السنة. تخوف الشيعة والأكراد من عواقب القيام بذلك، بينما تبنى السنة الأسطورة المتمثلـة في عبارة: «كلنا عراقيون»؛ بغية إخفاء الحقيقة المتجسدة في حكم الأقلية

الأغلبية. مكن التحرير الأكراد، والشيعة بقدر أكبر، في نهاية المطاف، من ممارسة طقوسهم علانية. بات بمقدورهم تعليق صور الإمام علي على نوافذ سياراتهم، والحج إلى الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء. طالب القادة السياسيون الشيعة، علاوة على ذلك، بغالبية المقاعد في مجلس الحكم. رغب العديد ممن التقيت من العراقيين، بكل الأحوال، بمن يتجاوز الانقسامات الطائفية والعرقية من القادة، لا من يعمل على تشجيعها.

منح بريمر وفريق حكمه الشيعة الغالبية التي أرادوا، ناهيك عن السماح للقادة الدينيين من الساسة الشيعة، بمن فيهم عبد العزيز الحكيم، على نحو خاص، باستخدام حق النقض فيما يتعلق باختيار الأعضاء الآخرين من الشيعة. تمثلت النتيجة، من ثمّ، في إقصاء عدد من الشيعة الأكثر ليبرالة وعلمانية، من المرغوبين من قبل السلطة، عن مجلس الحكم، وتقوية موقفي المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وحزب الدعوة. جادل قادة فريق الحكم على رفض كلا الحزبين المشاركة في مجلس الحكم، حال انتقاء من هم أكثر اعتدالاً لعضويته. لربما كان ذلك صحيحاً، ليؤكد أغريستو، وغيره من ساكني القصر، بكل الأحوال، أن بريمر وفريق حكمه لم يضغطوا بالقدر الكافي لتعيين من يعتنقون العلمانية، ويتسمون بالحيادية، من المحترفين في مجلس الحكم.

تحدث أغريستو، بذلك الصدد، قائلاً: «عززت مقاربة بريمر من الانقسامات التي رفضها العديد من العراقيين، عوضاً عن التقليل من شأنها. علم خيرة العراقيين بعجزهم عن إنشاء بلد ديموقراطي، موحد، ما لم يتمكنوا، بطريقة أو بأخرى، من تجاوز تلك الانقسامات، واختيار من يخدم الغاية ذاتها من القادة. علم خيرة العراقيين ذلك، بينما جهلناه».

انفجرت عند بوابة السفاح، في 18 كانون الثاني/ يناير 2004، شاحنة بيضاء محملة بألف رطل من المتفجرات، وعدد من قذائف المدفعية من عيار 155 ملم، لتقتل ما يزيد على العشرين شخصاً، وتجرح ستين على أقل تقدير. كان جميعهم من العراقيين تقريباً، وقد عمل العديد منهم لدى سلطة الائتلاف المؤقتة.

افترض أغريستو، الذي سمع الانفجار من داخل القصر، أن الهجوم سيثير المشاعر الشعبية ضد المتمردين، ويزيد من حماسة الناس للاحتلال وغاياته. تحدث الرجل، بذلك الصدد، قائلاً: «تمثل ما توقعت في قيام «مسيرة للأمهات من أجل السلام»، أو «حركة لا تقتلوا أطفالنا»، أو خروج أحدهم إلى الشارع، قائلاً: «أوقفوا ذلك. نريد الديموقراطية». أقام العراقيون الجنازات، بكل الأحوال، ليمضوا في حياتهم. عمدت القوات الأمريكية إلى إقامة جدران إسمنتية عازلة، أكبر حجماً، أمام البوابة. سأل أغريستو عدداً من العراقيين العاملين لدى السلطة عن سبب انعدام نقمة الناس، ليخشوا إدانة المتمردين على الملأ. تحدث، بذلك الصدد، قائلاً: «رأيت أن الناس ما زالوا خائفين. رأيت كم كان من السهل التحدث ضد الأمريكيين، وما وسم تأييد الحرية والديموقراطية من خطورة».

استنتج أغريستو -إبان التأملات الحزينة التي أعقبت الانفجار- أن الولايات المتحدة تجنح بعيداً بخيالها. مثّل ذلك انفصالاً كبيراً عن حلفائه الأيديولوجيين: تشيني، وولفويتز، ورمسفيلد. تحدث، بذلك الصدد، قائلاً: «تعين علينا أن نتسم بقدر أقل من الطموح، وأن نضع نصب أعيننا بناء عراق حر، ومزدهر، وآمن، مع التأكيد على كلمة «آمن»، ويمكن للمؤسسات الديموقراطية أن تتطور بمرور الوقت. ما فتئنا -عوضاً عن ذلك- نتحدث عن الانتخابات الديموقراطية. لو سألت مواطناً عراقياً عادياً عما يود، فلن تمثل الديموقراطية أو الانتخابات أولويته، بل الأمن. يرغب العراقيون جميعاً في التمكن من مغادرة بيوتهم مساء».

حاول أغريستو مناقشة تلك الأفكار مع أعضاء فريق الحكم، ليلقى منهم الصدود، بالنظر إلى اقتصار مهمته على تطوير الجامعات. عرض الرجل تقديم النصح إلى العراقيين الموكلين بمهمة صياغة الدستور المؤقت، لعلهم يرغبون، بحسب تعبيره، في التحدث إلى شخص يعلم قليلاً عن تاريخ الفكر الديموقراطي، ليتم استبعاده مجدداً. عمد أغريستو، -من ثمّ مع غياب من يستمع إليه- إلى كتابة رسالة إلى أحد أصدقائه العاملين مع السي آي أيه في القصر، الدارس في كلية سانت جونز، قائلاً:

«تتمثل مشكلة بناء الديموقراطية، في نظري، في اعتقادنا بسهولتها –تخلص من الأشرار، واعقد الانتخابات، وشجع مبدأ «المشاركة في السلطة»، وكلف أحدهم كتابة إعلان للحقوق. تتجسد الحقيقة فيما هو مناقض تماماً– يمثل حكم الأقلية، أو حكم الفرد، ما يسهل بناؤه، ناهيك عن الحكم الأوتوقراطي المتماسك. يجسد إيجاد الديموقراطيات الناجحة، والمستقرة، والحرة، في الحقيقة، المهمة الأكثر صعوبة».

«نجحت أمريكة على الدوام في تجسيد الديموقراطية الحرة، بحيث بتنا نعتقد أن الديموقراطية تمثل طريقة الحكم التلقائية، لنتناسى ما يجعلها متماسكة، مشبعة بالحرية: الحكم المحدود، وفصل السلطات، والمحاسبة، والانتخابات، والتعددية، وتنوع أنماط الحكم، والفيدرالية مع سيادة الدولة، وتطوير المواطنة وروح المسؤولية، ومغالبة الطائفية، بما يفوق ما سبق أهمية. نتصرف وكأن الغاية تتمثل في «الديموقراطية المجردة»، لا الليبرالية المعتدلة منها. نلتمس، من ثمّ أكثر الطوائف عدائية وتشدداً، ونعمل على تمكينها».

«لا نملك، كوننا بلداً، أدنى فكرة عما جعله ينجح. نعمد، من ثمّ إلى نشر إنجيل الديموقراطية، بأي من الأثمان، في الخارج. سيكون هذا البلد بخير تحت قيادة أي من الحكام المقبولين، إلى أن يجد الرئيس ماديسون خاصته».

عمد بريمر إلى توديع العراقيين، قبل تسليم السيادة، عبر القيام برحلة طويلة. سافر الرجل في إحدى مروحيات بلاك هوك العسكرية – التي حرصت على التحليق بالقرب من قمم أشجار النخيل؛ بغية تجنب الصواريخ المحمولة على الكتف – لزيارة مدن في الجنوب الشيعي والشمال الكردي. عمل بريمر، علاوة على ذلك، على إقامة حفلات العشاء للساسة العراقيين في فيلته، ناهيك عن استيقاف موظفي سلطة الائتلاف المؤقتة في أروقة القصر؛ بغية شكرهم على ما بذلوه من جهود.

أصـر الرجل، في أثناء لقاءاته الوداعية، علـى أن السلطة قد وضعت العراق على طريـق الحكم الديموقراطي، واقتصـاد السوق الحرة، وامتـلاك بنية تحتية حديثة، معـدداً مـا حققته من إنجازات: تأهيـل ما يقارب ألفين وخمس مئـة مدرسة، وتلقيح ثلاثـة ملايين طفل، وإنفاق مليـارات الدولارات على إعادة الإعمـار، وطباعة ثمانية ملايـين كتـاب مدرسي جديد، واستبـدال أوراق نقدية جديدة بالعملـة القديمة التي تحمل صورة صدام، وتشكيل مجالس بلدية في كل من المدن والمحافظات، وتضمين الدستور المؤقت أكثر إعلانات الحقوق شمولاً في العالم العربي.

لـم تفِ السلطة، بكل الأحـوال، بكثير من وعودها في نظـر العراقيين. لم تتجاوز طاقـة توليد الكهرباء، مع استعداد بريمر للرحيل، أربعة آلاف الميغاوات – مما أسفر عـن انقطاع الكهرباء خمس عشرة ساعـة يومياً عن معظم منازل بغداد – عوضاً عن ستـة آلاف الميغاوات التي وعـد بتوفيرها. لم يحظَ الجيش الجديـد بأكثر من أربعة آلاف مـن الجنود المدربين، بما يعادل ثلـث العدد الذي وعد بتدريبه. لم يتم التعاقد مـع أكثر مـن خمسة عشر ألف عراقـي للعمل في مشروعات إعـادة الإعمار، الممولة بواسطـة التمويـل الإضافـي، عوضـاً عن توظيـف ربع مليـون عراقي، كمـا أعلن في السابـق. لم يتلقَّ سبعون بالمئة مـن ضباط الشرطة، العاملين في الشارع، أي تدريب ممـول من قبل السلطـة. تجاوز معدل الهجمـات على القوات الأمريكيـة، والمدنيين الأجانـب، الأربعين في اليـوم، بما يزيد ثلاثة أضعاف عن معدلها منذ كانون الثاني/ ينايـر. تواصلت الاغتيالات بحق القـادة السياسيين، وأعمال تخريـب البنية التحتية النفطيـة والكهربائية بصورة يومية علـى وجه التقريب. عبّر خمسـة وثمانون بالمئة مـن العراقيين – المشمولين باستطلاع للـرأي أجرته السلطة، قبل بضعة أسابيع من تسليم السيادة – عن افتقارهم للثقة في إدارة احتلال بريمر.

لـم يتـم إنفاق أكثر مـن اثنين بالمئة مـن التمويـل الإضافي، البالـغ 18.4 مليار دولار، جـراء العوائـق البيروقراطية. لم يتم إنفاق ما يذكر علـى الإعمار، أو الرعاية الصحية، أو النظافة العامة، ناهيك عن عدم توفير مياه الشرب النظيفة، وتخصيص

التمويل للإدارة بما يفوق المشروعات جميعها المتعلقة بالتعليم، وحقوق الإنسان، والديموقراطية، والحكم، بينما تمكنت السلطة، على وجه التقريب، من إنفاق مجمل المبلغ المخصص لتمويل التنمية، البالغ عشرين مليار الدولار، الممول من عائدات النفط العراقية، حيث حظيت هاليبرتون، على سبيل المثال، بما يزيد عن 1.6 مليار من ذلك المبلغ، بصورة رئيسة، جراء نقل الوقود إلى العراق.

خاطرت، في أوائل حزيران/ يونيو، بالتوجه إلى محطة الدورة الكهربائية، الواقعة جنوب بغداد. افترض بالأخيرة أن تمثل نموذجاً للجهود الأمريكية المنصبة على إعادة بناء العراق. عجزت المحطة، التي تعرضت للقصف في حرب الخليج الثانية، وأهملت من قبل حكومة صدام، عن العمل بما يتجاوز ربع طاقتها الفعلية، مما أسفر عن انقطاع التيار الكهربائي أوقات طويلة في العاصمة. تعهد اختصاصيو سلطة الائتلاف المؤقتة، عند زيارتهم المنشأة المتداعية في العام 2003، على إعادتها للحياة ثانية، لتوضع على رأس لائحة المشروعات ذات الأولوية، ويعمد إلى التعاقد مع شركات ألمانية وروسية لإصلاحها. أوقفت موجة العنف التي اجتاحت البلاد، في الربيع، بكل الأحوال، أعمال إعادة البناء في محطة الدورة، والأماكن الأخرى كافة، على وجه التقريب.

غادر المتعهدون الألمان في نيسان/ أبريل، بينما تبعهم الروس في أواخر أيار/ مايو، بعد مقتل اثنين من زملائهم بالرصاص، بينما كانا يقتربان من المحطة في حافلة صغيرة. شهدت -بينما كنت أتنقل في أرجائها- عدداً من قطع الغيار ملقاة على الأرض، تنتظر من يقوم بتركيبها. أخذ الفنيون العراقيون، بأثوابهم الزرقاء، يتسكعون في الجوار، ويدخنون السجائر. حوى أحد جدران غرفة المحركات العبارة الآتية: «فلتحيا المقاومة».

سار العمل بخطى أكثر تسارعاً فيما يتعلق بضم المتطوعين إلى قوات الجيش والشرطة العراقية. استقرت سلطة الائتلاف المؤقتة والقيادة العسكرية الأمريكية، في نهاية المطاف، على ما عددناه إستراتيجية ناجحة للتدريب، ما إن أضحى

بيرنـي كيريك ووالت سلوكومب خارج المشهـد. خاطبني أحد الجنرالات الأمريكيين البارزين، بذلك الصدد، قائلاً: «أضعنا -جراء أخطاء السلطة- عاماً كاملاً مهماً».

سـاد شعور عارم -داخـل المنطقة الخضراء- بعدم اكتمـال المهمة. تساءل أحد مسؤولـي السلطة البارزين، في أثناء تناوله الشراب في حانة الرشيد، بذلك الصدد، قائـلاً: «هل قمنا حقاً بما يتعين علينا القيام بـه؟، بم وعدنا القيام به؟ لا يعتقد أحد بذلك هنا».

أصـر بريمر، في مقابلـة أجريتها قبل مغادرته، على أن العـراق «قد تغير بصورة جوهرية نحو الأفضل» بفعل الاحتلال. أردف الرجل قائلاً: إن سلطة الائتلاف المؤقتة قد وضعـت العراق على طريق الحكم الديموقراطي والاقتصاد المفتوح، بعد ما يزيد على ثلاثة العقود من الديكتاتورية الاشتراكية الوحشية. تضمنت أهم إنجازات بريمر، بحسـب تعبيره، في تخفيض المعدل الضريبي، وتحرير قوانيـن الاستثمار الأجنبي، وتخفيض رسوم الاستيراد.

وجهـت سـؤالاً عاماً لبريمر، عند نهايـة حديثنا، عما لم يتم إنجـازه من المهام، ليجيبني قائلاً: «سيبقى الكثير ليُعمل حين أتنحى».

اشتكـى الرجل بمـا لا يخلو من الحسرة، بعد عودته إلـى الولايات المتحدة، من فشـل البنتاغـون في إرسال عدد كافٍ من القوات إلى العـراق، مجادلاً على إمكانية تحقيـق خططه الكبرى، حال توافر قوات كافية علـى الأرض. لم تفشل خطة بريمر السياسيـة الأصلية، بكل الأحوال، جراء هجمـات المتمردين، بل بفعل معارضة آية الله المسن في النجف.

التقيـت عـادل عبد المهـدي علـى مائدة الإفطـار، في اليـوم اللاحـق لمقابلتي بريمـر، في الباحة الأمامية لمنزله المتواضـع. سألت الرجل -بينما كنا نتناول البلح والفطائر- عما كانت أكبر أخطاء السلطة. لم يتردد عبد المهدي في الإجابة، قائلاً: «تتمثل خطيئة الاحتلال الكبرى في الاحتلال نفسه».

كان الرجل راغباً، بالطبع، في أن تنصب الولايات المتحدة الساسة المنفيين حكاماً جدداً للعراق، في نيسان/ أبريل 2003. لم يفتقر كلام عبد المهدي إلى الصحة، بغض النظر عن مصلحته الذاتية. ارتأى العراقيون، بعد تحررهم من قبضة الدكتاتور، ضرورة امتلاكهم الحرية في تحديد مصيرهم، واختيار أعضاء حكومتهم المؤقتة، وإعادة إعمار بلدهم الممزق. لم يكن الأخير بألمانية أو اليابان، بلداً معتدياً، هزم بصورة شاملة في الحرب العالمية الثانية، ليحكم من قبل المنتصرين. احتاج العراقيون إلى العون - المتجسد في النصح الجيد والموارد الوافرة - من فرق دعم أجنبية تملك ما هو حسن من النوايا، لا احتلال شامل، يتقوقع الأمريكيون الإمبرياليون في أثنائه في قصر الطاغية، يتناولون اللحم ويشربون الجعة، محاصرين بمقاتلي الغوركا والأسوار الواقية.

أمكن التوفيق، عبر العديد من الأشكال، بين رغبة العراقيين في حكم أنفسهم، وغياب من يملك التأييد الواسع من القادة، كما أشار المستعربون في وزارة الخارجية، طيلة الأشهر التي سبقت الاجتياح: تعيين حاكم مؤقت من قبل الأمم المتحدة، وتشكيل مجلس حكم مؤقت، أو عقد اجتماع خيمة كبيرة - بما يماثل اللويا جيرغا في أفغانستان - لاختيار مجموعة من القادة الوطنيين. كان هنالك بالتأكيد دور ليلعبه أي من الدبلوماسيين الأمريكيين المثابرين، من ذوي الشخصيات الكاريزماتية، فيما يتعلق برعاية تلك العملية. أمكن، بكل بساطة، أن يمثل بريمر تلك الشخصية، مع منحه ما يختلف من الألقاب، ويقل من الصلاحيات، متسلحاً بما يدوم من الخطط السياسية، ويكفي من الموارد لإعادة إعمار البلاد.

هل كان من الممكن أن يحدث ذلك فرقاً؟ لا يمكن أن نعلم على وجه اليقين، ولكن كان من شأن أداء عمل أفضل -فيما يتعلق بالحكم وإعادة الإعمار، بما لا يدع مجالاً للشك- أن يثني كثيراً من العراقيين عن حمل السلاح ضد حكامهم الجدد والأمريكيين على حد سواء. كان من شأن التمرد أن يقوم في تلك الحالة أيضاً، بقيادة المتعصبين، ممن لم يروا أياً من آفاق التسوية، لينحصر فيما هو أضيق من النطاقات، على وجه الاحتمال، ناهيك عن زيادة إمكانية احتوائه.

خاطبنـي أحد الأصدقاء، مـن العاملين في سلطة الائتـلاف المؤقتة، قبل مغادرته، قائلاً: «إن تمكن العراق من النجاح، فسيحدث ذلك بالرغم مما فعلناه، لا نتيجة له».

انطلـق موكب بريمر عبر المنطقـة الخضراء، عند العاشـرة صباحاً، في الثامن والعشريـن من حزيـران/ يونيو، متوجهاً إلى مكتب رئيس الـوزراء إياد علاوي. دخل الحاكم إحدى الغرف، حيث كان علاوي، والرئيس غازي الياور، ونائب رئيس الوزراء برهـم صالح، وكبير القضاة مهدي محمود بانتظاره. حيّا الجميع بعضهم بعضاً، قبل الجلوس على مقاعد مطرزة بالذهب.

بـدأ بريمر حديثه بالإشارة إلى خضوع الـوزارات جميعاً لسيطرة حكومة علاوي. وقـف الحضور، فيما بعد، ليفتح الحاكـم حقيبة زرقاء اللون، ويقرأ الوثيقة الموجودة داخلها، قائلاً:

«تنتهـي مهمة سلطة الائتلاف المؤقتة في الثامـن والعشرين من حزيران/ يونيو، لينتهي بموجبها الاحتلال، وتستلم الحكومة العراقية المؤقتة السيادة الكاملة بالنيابة عـن الشعب العراقي. نرحب بخطوات العراق نحو أداء دوره المشروع بين دول العالم الحرة كافة».

التفـت بريمر، عند نهاية حديثه، إلى علاوي والياور، قائلاً: «بتّم مستعدين الآن لتولي السيادة».

سلـم بريمر الحقيبـة إلى كبير القضـاة، لتنهي أمريكة احتلالهـا، ببساطة، عبر القيام بذلك.

تحدث علاوي ببعض العبارات، كما الياور، الذي دعا ذلك اليوم «بالتاريخي السعيد، الـذي تطلع إليه العراقيـون جميعاً، واستعدنا وطننا فيه». لم تكن هناك احتفالات، أو فـرق استعراضات، أو ألعاب نارية، أو حرس للشرف، أو خطب عصماء، أو جموع من الحاضريـن، أو تغطيـات تلفزيونية حية. لـم يعلم العراقيون بتسليـم السيادة إلا في وقت لاحـق. توقع الجميع حدوث ذلك في الثلاثين من حزيران/ يونيو، ليسرع بريمر مـن العملية، بناء على اقتراح الرئيس بوش، تجنبـاً لخطر هجوم من المتمردين. لم تستغرق المراسم برمتها، في نهاية المطاف، ما يزيد عن خمس الدقائق.

صعد بريمر على متن إحدى مروحيات شينوك، المتوقفة في مهبط طائرات المنطقة الخضراء، بعد تبادل سلسلة من عبارات الوداع المقتضبة الحزينة في القصر. خلع الرجل نظارته الشمسية، ليرتدي سترته الواقية فوق قميصه الأبيض، فرنسي الصنع. بقي بريمر جالساً في مقعده، بينما حلقت المروحية في السماء، عوضاً عن إلقاء نظرة أخيرة، من النافذة، على مملكته. سبق للرجل، بكل الأحوال، رؤية المنطقة الخضراء من الجو مرات عدة. لم تتضح فخامة القصر من الأعلى، ليبدو سطحاً مؤلفاً من قبة زرقاء، لا أكثر، يحوي عدداً من الأطباق اللاقطة، محاطاً بمتجر البي إكس، والموقف المليء بعربات السوبربان، والمئات من المقطورات السكنية المعدنية، والجدران الصلبة الواقية، على ارتفاع سبعة عشر قدماً، التي تفصل مدينة الزمرد عن بقية أرجاء العراق. بدت المنطقة الخضراء، من الجو، قطعة ضخمة من أحجية الصور، الواقعة في قلب مدينة متربة، ومترامية الأطراف.

obeikandl.com

obeikandl.com

# الخاتمة

**التأم شمل موظفي سلطة الائتلاف المؤقتة في واشنطن**، بعد عام من مغادرة جيري بريمر العراق. أقيمت الحفلة في إحدى قاعات المباني الواقعة في مركز المدينة، لتقدم في أثنائها الجعة، وبعض المأكولات، وتعرض لقطات لموظفي السلطة في العراق، وهم يتبادلون المزاح عند القصر، يقفون إلى جانب إحدى مروحيات بلاك هوك، يأكلون في قاعة الطعام، ويتسكعون قبالة بركة السباحة.

حوت لافتة خشبية معلقة عند مدخل القاعة العبارة الآتية: «أهلاً بكم في المنطقة الخضراء». وضع إلى جانب مائدة المقبلات، حوض استحمام أطفال بلاستيكي؛ بغية استحضار بركة السباحة في القصر، بينما ألقيت بعض من السترات والخوذ الواقية على الأرض.

تجاوز عدد الحضور المئة، ليأتي العديد منهم مباشرة من وظائفهم، التي حصلوا عليها بعد عودتهم من بغداد، في البنتاغون، والبيت الأبيض، ومؤسسة التراث، وأماكن أخرى في المؤسسة الجمهورية. عمد عدد من مرتدي البزات إلى ارتداء الأحذية العسكرية فاتحة اللون -التي تمثل الأحذية الرسمية في المنطقة الخضراء- قبيل دخول القاعة، بينما قام آخرون بتزيين صدورهم بمشابك تصور العلم الأمريكي متقاطعاً مع نظيره العراقي.

تبادل الحضور المصافحة، والعناق، والقبل على الوجنتين، وفق الطريقة العراقية. جسدت تلك المرة الأولى للقاء معظم موظفي المنطقة الخضراء منذ نهاية الاحتلال، ليتصرفوا وفق ما اعتادوه من قواعد، عبر تملق رؤسائهم السابقين، وإطراء بعضهم بعضاً، والثناء على سياسة بوش الخارجية. استذكر أولئك، علاوة على ذلك، ما أنجزوه من عمل في العراق، رافضين التغطية الإعلامية للحرب؛ لما تمثله من روح انهزامية، بالنظر إلى أن النصر قريب المنال.

خاطبنـي أحدهـم، بذلك الصـدد، قائلاً: «لا تتسـم الأمور بما يظنـه الناس من سوء». سألته قائلاً: «متى غادرت العراق آخر مرة؟» ليجيبني قائلاً: «منذ عام كامل»، كما الحاضرون جميعاً على وجه التقريب.

استنـدت الحوارات في الحفل إلى ما هو ضمني من الافتراضات: مسؤولية سلطة الائتلاف المؤقتة عن التقدم في العراق، والساسة العراقيين عما أصابه من مشكلات. خاطبتنـي إحدى النسوة، بذلك الصـدد، قائلة: «وضعناهم علـى المسار الصحيح، ويعود إليهم الأمر في اتباعه».

تحدثـت امرأة أخرى، تعمل في مكتب وولفويتز في البنتاغون، قائلة بعدم تأثرها، وزملائها، بما يوجه للإدارة الأمريكية من انتقادات بشأن إدارة الحرب.

لـم يكن جـون أغريستو من بيـن الحاضرين. مثّـل الحفل مكاناً طبيعيـاً لحلفائه التقليديـين، من المحافظيـن الجدد والمؤمنيـن الحقيقيين، ليحجـم عن حضوره، راغبـاً عن رؤيتهم يتبادلون التهنئة، بما بات يثير اشمئـزازه. فضّل الرجل البقاء في منزله في نيو مكسيكو، ممضياً الوقت في القراءة، والكتابة، وإعداد النقانق. راسلني أغريستـو عبـر البريد الإلكتروني، بعـد مضي شهر من الزمـن، ليخبرني بعودته من رحلـة قصيرة إلى العراق، برفقة عدد من خبراء التاريـخ والقانون الأمريكيين؛ بغية لقاء أعضاء لجنة صياغة الدستور. تحدث الرجل، بذلك الصدد، قائلاً: «عدت بقدر أكبر من التشاؤم، أو بما لا يقل عن القدر السابق، على أقل تقدير».

دخـل بريمر وزوجه قاعـة الحفل، ليرغـب الجميع في مصافحتـه وتحيته. تقدم الرجـل بصعوبة، عبر جموع الحاضرين، مرتدياً حذاءه العسكري. كان الارتياح بادياً عليـه، بمـا لم ألمحه في كثيرٍ من الأوقات في أثناء وجوده في العراق، ليضحك مرات عدة في الحفل، مرجعا رأسه إلى الخلف. كان بريمر قد أنهى، منذ وقت قريب، كتابة «عامـي فـي العراق»، العمـل المتعلق بتجربته فـي حكم البلاد. لم تتجـاوز التزاماته الوحيـدة -في الوقت الراهن- إلقاء المحاضرات، موجهـاً اهتمامه نحو تقدم العمل المتعلـق بتجديـد مطبخ منزله الريفي في فيرمونت، بمـا يتضمن تركيب موقد بكلفة ثمانية وعشرين ألف دولار.

انتقـل الحضور فيما بعد، عند تمام التاسعة، إلـى قاعة زجاجية الجدران، تحوي شاشـة تلفزيونيـة مسطحة؛ بغية متابعـة خطاب الرئيس بوش الموجـه إلى الأمة من قاعـدة فورت بـراغ، في نـورث كارولاينا. جلس بريمـر وزوجه على إحـدى الأرائك، ليتحلق حولهم البقية.

وافق التاريخ، في حينه، الثامن والعشرين من حزيران/ يونيو 2005، لتبلغ حصيلة القتلـى 1745 مـن العسكريين الأمريكييـن، وتقدر بعشرات الألـوف من العراقيين، ناهيـك عن خضوع قسم كبير من البلاد -إلـى الشمال والغرب من بغداد- لسيطرة المتمردييـن، واغتيال فرق الموت العراقييـن العاملين مع الحكومة الانتقالية بصورة يومية، على وجه التقريب.

دربـت أعـداد إضافية، بما يعـادل الآلاف، من الجنـود ورجال الشرطـة العراقيين علـى أيدي الأمريكيين، ليفتقروا إلى الاستعـداد الكافي لمحاربة المتمردين بمفردهم، باستثناء كتيبة واحدة من الجيش العراقي الجديد، وفق شهادة الجنرالات الأمريكيين.

ازدادت التفجيـرات الانتحاريـة بواسطة السيارات المفخخـة، في بغداد وغيرها مـن المناطق -بما يستهدف مراكز الشرطة وتطوع المجندين، والمساجد، والمآتم- بحيـث امتنع كثيرٌ مـن العراقيين عن مغـادرة بيوتهم في الأحـوال الاعتيادية. قلقت الزوجات من عدم عودة أزواجهن من أعمالهم، ناهيك عن الوالدين فيما يتعلق بعودة أبنائهـم من المدارس. أخبرنـي العديد من المواطنين أنهم باتـوا يخافون بما يفوق ماهيـة شعورهم في أثناء حرب ثلاثة الأسابيع لإطاحة صدام، أو حرب العام 1991، أو الحرب العراقية الإيرانية أيضاً.

استمـرت نسبـة البطالـة علـى معدلهـا البالـغ 40%، بينمـا رغـب المستثمرون الخصوصيون - ممن أمل بيتر مكفرسون تشجيعهم عبر قوانين الضرائب والتعريفات الجديـدة - عن القدوم إلى العراق، ناهيك عن انخفاض إنتاج النفط عن معدلاته ما قبل الحرب، واستمرار انقطاع التيار الكهربائي ساعات طويلة.

استؤنفت جهود إعادة إعمار البنية التحتية، في أعقاب أعمال العنف التي اجتاحت البلاد في ربيع العام 2004، لتقلل الإجراءات الأمنية الجديدة من وتيرتها. لم ينفق سوى ثلث التمويل الإضافي، البالغ 18.4 مليار دولار، ناهيك عن إنفاق 40 سنتاً، من كل دولار؛ بغية دفع رواتب الحراس، وتأمين العربات المصفحة، وإقامة الجدران الواقية. لم تسهم خطط السلطة المتعلقة بإقامة مشروعات المياه، وشبكات الصرف الصحي، ومحطات الطاقة –التي حذر منها ستيف براونينغ، على سبيل المثال– سوى في إضاعة المال بصورة إضافية، بالنظر إلى افتقار العراقيين إلى المهارات والموارد اللازمة لصيانة تلك المرافق.

بدأ مدققو حسابات وزارة الدفاع التمحيص فيما أنفقته السلطة بإسراف من عائدات النفط العراقية، ليشيروا إلى عدم خضوع مبلغ 8.8 مليارات دولار للحسابات بصورة دقيقة، بما يشمل 2.4 مليار دولار أرسلت إلى بغداد من البنك الاحتياطي الفيدرالي في نيويورك، قبل ستة أيام من تسليم السيادة.

أعيدت تسمية المنطقة الخضراء «المنطقة الدولية»، ليمثل ذلك ما هو ظاهري من التغيرات: واصل الأمريكيون إدارتها، متموضعين في القصر الجمهوري، مع السماح لمسؤولي الحكومة العراقية بالإقامة، وتسيير العمل، فيما هو شاغر من الفيلات. لم يعد القصر يجسد –بكل الأحوال، مع حل سلطة الائتلاف المؤقتة– ميداناً لوزارة الدفاع الأمريكية، ليمثل أكبر سفارات وزارة الخارجية، التي سنت قوانينها الخاصة: حظر ارتداء سترات السفاري وقراب المسدسات، ومنع الموظفين من مغادرة القصر، وإن إلى أقسام أخرى من المنطقة الدولية، دون مواكبة أمنية. أضحى متجر البي إكس –بعد ذلك ناهيك عن المطعمين الصينيين، وفندق الرشيد– خارج إطار الحدود المسموح بها، بما لا يفتقر إلى المسببات الوجيهة.

تعرضت مدينة الزمرد للاختراق أكثر من مرة. فجر أحد الانتحاريين نفسه، في 14 تشرين الأول/ أكتوبر 2004، داخل مقهى المنطقة الخضراء، بينما فعلها آخر في سوقها، ليدمّر المطعم والمحال، بالنتيجة، ناهيك عن سقوط خمسة أشخاص، بما يشمل ثلاثة من المدنيين الأمريكيين. لم تعد المنطقة الدولية، من ثمّ، بين عشية وضحاها، تقل في خطورتها عن بقية أرجاء المدينة.

أمضى بعض موظفي السفارة، في نهاية المطاف، أشهراً داخل فقاعة القصر، يعملون، ويأكلون، ويتدربون، ولا يغادرونه إلا للنوم في مقطورات الحديقة الخلفية، على بعد مئات من الأقدام. تم نقل متجر البي إكس إلى داخل أسوار القصر، بينما وفر خيار آخر لمن سئموا تناول وجباتهم في قاعة الطعام: افتتاح مطعم «بيرغر كينغ» ضمن مجمع القصر.

لم تستثنِ القيود على التنقلات الدبلوماسيين المحايدين - الذين أتقن العديد منهم العربية ورغب في التواصل مع العراقيين - بعد استبدالهم بمعظم أنصار الحزب الجمهوري من العاملين في سلطة الائتلاف المؤقتة. حضر بعض العراقيين إلى القصر ومركز المؤتمرات؛ بغية عقد الاجتماعات، بينما غادر عدد من الأمريكيين القصر في مواكب من العربات المدرعة، لتظل فرص التواصل محدودة، مع ذلك، ويفتقر كل من الطرفين إلى الفهم الكامل للآخر.

توجه الملايين من العراقيين إلى صناديق الاقتراع، في كانون الثاني/ يناير 2005، للتصويت في أول انتخابات ديموقراطية في البلاد منذ عقود من الزمن. مثّل ذلك اليوم انتصاراً تاريخياً في كل من بغداد، والشمال الكردي، والجنوب الشيعي. رفع الرجال والنسوة أصابع إبهامهم الملطخة بالحبر، للدلالة على مشاركتهم في العملية الانتخابية، بينما قَلَّ مستوى العنف عما كان متوقعاً. عاد ذلك، في جزء كبير منه، إلى فرض القوات الأمريكية والعراقية حظر التجوال ثلاثة أيام على معظم المدن العراقية، بما يشمل منع حركة العربات، وتفتيش المارة عند نقاط تفتيش عشوائية. كان من الواجب على الجنود الأمريكيين -بحسب ما أخبرني أحد العراقيين- القيام بذلك عند وصولهم العراق في نيسان/ أبريل 2003.

فشلت الانتخابات فشلاً ذريعاً، بالمقابل، في المناطق الخاضعة لهيمنة السنة، إلى الشمال والغرب من العاصمة. عمد الساسة المحليون إلى مقاطعتها، بينما حذر المتمردون السكان من الاقتراب من مراكز التصويت. لم يصوت في الرمادي، على سبيل المثال، سوى ستة أشخاص، في مركز الاقتراع ذاته، بينما أغلقت مراكز الاقتراع الثمانية في الضلوعية، البلدة الواقعة إلى الشمال من بغداد، على نهر دجلة.

عبّـرت النتائج، فـي نهاية المطاف، عن حجـم الطوائف المشاركـة. نال تحالف الأحـزاب الشيعية، المدعوم من قبل السيستانـي، نسبة 48% من أصوات الناخبين، بينمـا حصل الحزبان الكرديان الرئيسان، مجتمعيِّـن على 26%، وكتلة إياد علاوي، رئيس الـوزراء المؤقت، الشيعي العلماني، على ما يقـارب 14% من الأصوات. أخفق القلائـل مـن المشاركين السنـة، بالمقابل، إلى أبعـد الحدود: لم تبلـغ النسبة التي حققهـا حزب الرئيس المؤقت غـازي الياور 2% من الأصـوات، بينما فشل التحالف المشكل من قبل وزير الخارجية السابق عدنان الباجه جي في نيل ما يخوله الحصول علـى مقعد واحد، لا أكثر، في الجمعية الوطنية التي يبلغ عدد أعضائها 275. لم يبلغ مـا حصله العرب السنة، من ثمّ، الذين يشكلون ما يقارب العشرين بالمئة من سكان العـراق، نسبة 8% من مقاعد المجلـس التشريعي. أخرج قانـون الدائرة الواحدة – الـذي أقره بريمر– السنة خارج الحكومـة الجديدة، ليحرم الأمريكيين، والعراقيين، من فرصة ثمينة للفوز بقلوبهم، وإضعاف حركة التمرد.

طالـب الأكـراد والشيعة بالحصـول على الـوزارات الرئيسة كافـة، بينما عمدت ميليشياتهم إلى اختطاف أعداد كبيرة من الشباب السنة –ناهيك عن قتلهم وتعذيبهم فـي بعض الأحيان– بعلم من الحكومة الجديدة. بدأ المتمردون السنة، بالمقابل، في مهاجمـة المدنيين من الأكـراد والشيعة، بما لا يقل ضراوة عـن الأمريكيين، ليرحل الشيعـة المقيمون في المناطق السنية، الواقعة إلـى الشمال من بغداد، إلى الجنوب، ويعمـد السنـة، القاطنون في المـدن الشيعية الواقعة جنوب العاصمـة، إلى المغادرة شمالاً، بما يؤذن باندلاع حرب أهلية.

باتت المشكلة أكثر خطورة، بعد مضي بضعة أشهر، مع حلول موعد كتابة الدستور الدائـم. أسهـم نقصـ المشاركـة السنية، في صياغـة الوثيقة، فـي رفضها من قبل معظم السنة. مثّلت تلك فرصة ضائعة أخرى لكسب الأخيرين، وشق صفوف التمرد، بالرغم من عجز السنة عن جمع ما يكفي من الأصوات، في استفتاء وطني عام، لرفض الدستور الدائم.

صمت الحاضرون في الحفل حين ظهرت صورة الرئيس بوش على الشاشة أمامهم. تحدث الرجل، في خطابه، قائلاً: إن أمريكة قد حققت «تقدماً مهماً في العراق».

أردف الرئيس قائلاً: «تتسم مهمتنا في العراق بالوضوح. نعمل على مطاردة الإرهابيين، ومساعدة العراقيين في بناء وطن حر، حليف في الحرب على الإرهاب. نعمل على تطوير الحرية في الشرق الأوسط الكبير، والتخلص من مصدر للعنف وعدم الاستقرار، وإرساء الأساس للسلام من أجل أطفالنا وأحفادنا».

لم يتحدث الرجل عن أي من الأخطاء.

تحدث بريمر إلى الحضور، بعد انتهاء خطاب الرئيس، قائلاً:

«سنكمل المهمة، كما قال الرئيس الليلة. أؤكد في العادة، حين أتنقل عبر البلاد، أنها تمثل كفاحاً عسيراً، طويل الأمد، يتطلب كثيراً من الصبر، لأؤكد -على حد سواء- أننا؛ نحن الأمريكيين، قوم لا نستسلم. لم نستسلم في القرن الثامن عشر إلى أن أخرجنا البريطانيين. لم نستسلم في القرن التاسع عشر إلى أن ألغينا العبودية. لم نستسلم في القرن العشرين إلى أن قضينا على الشمولية في أوروبة، ولن نستسلم في القرن الحادي والعشرين أمام أولئك الإرهابيين».

التهبت أكف الحاضرين بالتصفيق، ليبتسم بريمر.

خاطب الجميع بالعربية، قبل أن يشق طريقه باتجاه الباب، قائلاً: «مبروك العراق الجديد».

obeikandl.com

obeikandl.com

# الشكر

لـم يكـن لهذا الكتـاب أن ينجز مـن دون مساعدة كثيـرٍ من العامليـن في سلطة الائتلاف المؤقتة ومكتب إعادة الإعمار والمساعدات الإنسانية، عبر التحدث إلي على نحوٍ متكرر ومطول -في الكثير من الأحيان- عن الحياة في المنطقة الخضراء وعمل إدارة الاحتـلال. أشعر بالامتنان كثيراً لما منحوني مـن وقت وثقة. لم يرغب العديد منهم، لسوء الحظ، بما يشمل عدداً من شاغلي المناصب البارزة في سلطة الائتلاف المؤقتـة، بالكشف عن أسمائهم، مخافة تعرضهم للعقاب من قبل إدارة بوش. أتقدم بالشكـر كذلك على ما حصلت عليه من معلومات من قبل مسؤولين بارزين في البيت الأبيض، ووزارة الخارجيـة، والبنتاغـون، الذيـن رفض معظمهم، على حـد سواء، الكشـف عن أسمائهـم، مع رغبتهم في قيامي بتطوير ما هو أكثـر شمولاً وتقويماً من الفهم لسلطة الائتلاف المؤقتة.

لـم يكـن لي كذلـك أن أكتب هذا العمل مـن دون الدعم والتشجيـع الكريمين من قبـل ناشري ومديري صحيفة الواشنطـن بوست. لم يكن لالتزامهم بتغطية الأحداث في العراق، بحسـب اعتقادي، نظير في الصحافة الأمريكية. أنحى بي دون غراهام، المسؤول عن الصحيفة، في حزيران/ يونيو 2003، في أثناء زيارتي الأولى لواشنطن عقب تحرير بغداد، بغية إخباري بعزم الصحيفة على فعل كل ما هو ضروري لضمان سلامتي الشخصية، وسلامة زملائي، وهو ما قامت به بالفعل.

يعـد لين داوني، المحرر التنفيذي، ومدير تحريره حين كنت في العراق، وستيف كـول، اثنين من أفضـل العاملين في مجال الأخبار. كـون الرجلان، بدعم من ناشر الواشنطـن بوست، بو جونز، ما شجع زملائي في الصحيفة من مناخات على القيام بعمـل ممتاز فيمـا يتعلق بتغطيـة التدخل الأمريكي فـي العراق. يتعيـن علي التوجه بشكـر خاص إلى فيل بينيت، الـذي كان يشغل منصب مديـر التحرير المساعد في

قسم الأخبار الأجنبية، وبات الآن مديرا للتحرير. يتسم الرجل بالألمعية فيما يتعلق بشؤون التحرير والإرشاد، ناهيك عما يربطني به من صداقة. حثني بينيت، حين كان الجميع منصرفين نحو التركيز على العمليات العسكرية، على أن أبقي ناظريّ على بريمر وسلطة الائتلاف المؤقتة.

لم يكن من الممكن العيش في العراق، وإرسال التقارير منه، على حد سواء، من دون مساعدة العراقيين. كانت الصحيفة محظوظة بالتعامل مع فريق رائع من العراقيين، العاملين مترجمين، وسائقين، وحراساً. خاطر أولئك بحياتهم، في كل من الأيام؛ بغية مساعدتي على فهم ما كان يحدث حقيقة في بلدهم. أتقدم بالشكر الجزيل، بناء عليه، إلى كل من: ضياء أحمد، وخالد السفار، وعمر أسعد، ونصير فاضل، وصباح فاضل، وعمر فكيكي، وفلاح حسن، ومؤيد جبار، ومنى جواد، ومحمد مهدي، ورفعت محمد، ومحمد منيم، وجواد منشد، وفوزية ناجي، وسيف ناصر، وغزوان نويل، ونصير نوري، ومهند سالم، وسعد سرحان، وبسام سبتي، وأحمد يونس.

تشرفت بالعمل مع بعض من أفضل مراسلي ومصوري صحيفة الواشنطن بوست في بغداد، بما يشمل كلاً من آندريا بروس، وميشيل دو سيل، وبام كونستابل، وستيف فينارو، وبيتر فين، وبارت غيللمان، وثيولا لابي، ومولي مور، وبيل أوليري، ولوسيان بيركنز، ولويس ريموندو، ومايكل روبنسون شافيز، وأنتوني شديد، وجاكي سبينر، ودوغ ستيرك، وكيفين سوليفان، وكارل فيك، ودانيال ويليامز، وسكوت ويلسون. لا يوجد من يغطي أخبار العالم العربي بأفضل من أنتوني شديد، الذي غدا موجهاً حكيماً، وصديقاً جيداً.

بوركت -على حد سواء- بتكوين العديد من الصداقات، حديث العهد منها والقديم، مع الصحافيين العاملين في بغداد، بما يشمل كلاً من حنا علام، وجاين عراف، وكريستينا إسكويث، وآن بيرنارد، وريم إبراهيمي، وثاناسيس كامبانيس، وجيل كارول، وجاك فيرويذر، ولورد غارسيا نافارو، وبيل غلوبر، ودان هاريس، وكارولين هاولي، وجيمس

هايدر، ولاري كابلو، وبيرغيت كاسبر، ولورا كينغ، وجاكي ليدن، وإيفان أوسنوس، وكاثرين فيليب، وأليسا روبن، وسومييني سينغوبتا، وكريستين سبولار، ونيك وات.

حصد الصراع في العراق أرواح العديد من الأخيار، بما يشمل ثلاثة من الأصدقاء: دبلوماسي الأمم المتحدة سيرجيو دي ميللو، ومراسلة البوسطن غلوب إليزابيث نوفر، وعاملة الإغاثة مارلا روزيكا، الذين أفتقدهم بشدة.

أشعر بالامتنان لما حصلت عليه من آراء حكيمة وعون، في واشنطن، من قبل عدد من زملائي في الصحيفة، بما يشمل، على وجه الخصوص، كلاً من كارين دي يونغ، وبرادلي غراهام، وغلين كيسلر، ودانا بريست، وتوم ريكس، وبيتر سليفين، وجوش وايت، وروبن رايت. قدم لي محرر قسم الشؤون الأجنبية دايفيد هوفمان العون فيما يتعلق بصياغة قصصي، وتحريرها بما يتسم بالبراعة، بينما حظيت بكثيرٍ من الدعم من قبل موظفي القسم الآخرين، بما يشمل كلاً من نورا بستاني، وجون بيرجيس، وإد كودي، وبيتر آيزنر، وجيني مهمل، وتيفاني هارنيس، ولو آن مكنيل، وإيميلي ميسنر، وآندي موشر، وتوني ريد، وكيث سينزينغر، وديتا سميث، وروبرت توماسون. قدم العديد من الأصدقاء الآخرين في الصحيفة، على مر السنين، ما هو جيد من النصح والمشورة، بما يشمل كلاً من غلين فرانكل، وترايسي غرانت، وفريد حياة، ودايفيد إيغناتيوس، وكيث ريتشبورغ.

مكنتني اثنتان من المؤسسات في واشنطن، عبر منحي العضوية، من إنجاز الكتاب، وتبادل الأفكار مع من يتسمون بالألمعية من الأشخاص، بما يعد أكثر أهمية. مثلت الأولى «الإنترناشونال ريبورتينغ بروجيكت»، التابعة لكلية جونز هوبكنز للدراسات الدولية المتقدمة، حيث رحب بعضويتي، عند عودتي من العراق، كل من المدير جون شيدلوفسكي، وأعضاء طاقمه: جيف باروس، ولويس ليف، ودينيس ميلفين، ناهيك عما حصلته من فوائد جراء تفاعلي مع ثمانية من الصحفيين الشباب اللامعين، المنتسبين إلى المؤسسة، بما يشمل كلاً من: رايان إنسون، وآرين بيكر، وآدام غراهام سيلفرمان، ورافي كاتشادوريان، وكاثرين بوف، وفيرناندا سانتوس، وكيلي والين، وماري ويلتنبورغ.

تجسدت المؤسسة الثانية في «مركز وودرو ويلسون الدولي للباحثين»، حيث أشعر بالامتنان لكل من المدير لي مهميلتون، وهالة إصفنديارى، وستيف لاغيرفيلد، ومايكل فـان دوزين، وسام ويلـز. قدمت لي مساعدتي في البحث، تيفاني كلارك، علاوة على ذلك، ما لا يقدر من عون فيما يتعلق بمراجعة العديد من الوثائق الحكومية.

التقيـت في المركـز سارة كورتيو، المحـررة الفائقة الذكاء فـي فصلية ويلسون. أمضت كورتيو ساعات طويلة في قراءة وتحرير مخطوطة بحثي. لم يكن لهذا الكتاب أن يقـرأ مـن دون اقتراحاتها الذكية، مما يشعرني بكثيـرٍ من الامتنان لما قدمته من عون، ناهيك عن اعتزازي بصداقتها.

لم يكن لهذا العمل أن يطبع، على حد سواء، لو لم يقم دايفيد إيغناتيوس بتقديمي إلـى ناشري، المثابـر رايف ساغالين، الذي عمل على توجيهـي بأناة في أثناء تجربة كتابتـي الأولى. قـدم أعضاء فريق رايف -بما يشمل كلاً مـن إيبين غيلفينبوم، وآمي روزينتال، وبريدجيت واغنر- كثيراً من العون، على حد سواء، في المراحل كافة.

عمل كل من جوناثان سيغال وسوني ميثا، في دار النشر، على مساعدتي في صياغة تقاريري المتشعبة في قصة محددة عن المنطقة الخضراء. تشرفت بالعمل مع جون، الذي لا يضاهي ذكاءه الحاد وحماسته المتقدة، للخروج بقصة جيدة، سوى ما يملكه من مهارات في العمل التحريري.

قـدم أصدقائي الدعم، والتشجيع، وكثيراً من الوجبـات الشهية؛ بغية مساعدتي علـى البقـاء متماسـكاً في أثناء أشهـر كتابة هذا العمـل. أدين بالفضـل، على وجه الخصوص، لكل من مايك أليـن، وبيتر بيكر، وكاتيا دان، وسـوزان غلاسر، ومايك غرنولد، وسبينسر شو، ودافنا لينزر، ولييف سميث، وآن ماري سكو. لم يسهم نوريث آيزينمـان وتيريزا إيفرلاين في قراءة مقاطع من مخطوطة بحثي فحسب، بل أمضيا ساعـات طويلة، في نهاية المطاف؛ بغية مساعدتي في صياغة مسودة العمل. قدمت إليزابيـث تيري، الصديقة العزيزة الأخـرى، علاوة على ذلك، كثيراً من النصح في مراحل العمل كافة.

لم يكن لي لألتقي الرائعة جولي شلوسر، لولم تبدِ استعدادها للمساعدة في البحث عـن صورة مايـكل باتلز في أرشيف مجلة فورتشن. كان التعـرف إليها، في الحقيقة، ممتعاً بما يفوق إنجاز الكتاب.

أشعر بالامتنان، قبل كل شيء، لانتمائي إلى هذه العائلة الرائعة. أتقدم بكثيرٍ من الشكـر والعرفان، إلى شقيقي رافي، وزوجه جينـي، ووالديّ أوما وكومار، ناهيك عما أكنّه لهم من محبة.

obeikandl.com

obeikandl.com

# المراجع

يجسد هذا الكتاب حصيلة ما يقارب العامين من تغطية الأحداث في العراق لصالح صحيفة الواشنطن بوست، بدءاً من رحلتي الأولى إلى العراق في أيلول/ سبتمبر 2002. عشت في بغداد على نحوٍ متواصل، على وجه التقريب، منذ تشرين الثاني/ نوفمبر 2002 إلى بدء الاجتياح الأمريكي في آذار/ مارس 2003. عدت إلى هناك في العاشر من نيسان/ أبريل 2003، في اليوم الثاني لإطاحة تمثال صدام أمام فندق فلسطين، لأقيم على نحوٍ متواصل إلى الثلاثين من أيلول/ سبتمبر 2004. أمضيت في العراق، في أثناء خمسة عشر شهراً من الاحتلال، بالرغم من مغادرته في إجازات قصيرة، وفق إحصاءاتي الشخصية، بما يزيد عن أي من مراسلي الصحف الأمريكيين الآخرين على وجه التقريب.

واصلت العمل على هذا الكتاب، بعد عودتي إلى الولايات المتحدة، عبر إجراء حوارات إضافية مع من التقيتهم في العراق للمرة الأولى، ناهيك عن المقابلات مع عدد ممن عجزت عن التحدث إليهم حين كانوا في المنطقة الخضراء. عملت، علاوة على ذلك، على مراجعة الآلاف من صفحات المراسلات الإلكترونية والوثائق المتعلقة بعمل سلطة الائتلاف المؤقتة؛ بغية تطوير ما هو أكثر شمولاً من الفهم للاحتلال.

يستند قسم كبير مما ورد في روايتي، بالرغم من نشر عدد من موادها بصيغة مختلفة في صحيفة الواشنطن بوست، إلى ما يزيد عن المئة من المقابلات الأصلية، التي أجريت خصيصاً لأجل الكتاب. طالب عدد من مصادري بعدم الكشف عن أسمائهم؛ مخافة تعرضهم للعقاب، لأتوخى الدقة ما أمكنني فيما يتعلق بطبيعة أدوارهم في سلطة الائتلاف المؤقتة، أو الحكومة الأمريكية.

استفدت، إلى حد كبير، من التقارير التي أعدها زملائي في الصحيفة، بما يشمل، على وجه الخصوص، كلاً من توماس ريكس، وأنتوني شديد، وروبن رايت، ناهيك عن

خدمـات البحث والترجمة القيمة من قبل كل من خالد السفار، وعمر فكيكي، ونصير نوري، وبسام سبتي، في مكتب الصحيفة في بغداد.

تستنـد الجمل المقتبسة في الكتاب كافة، عدا عمـا سيذكر لاحقاً، إلى مقابلاتي الحصريـة، أو مـا هو عـام من المصـادر، كما يستند مـا يعاد سرده مـن الحوارات إلى ذاكـرة أحد المشاركين فيها، على أقل تقدير. تخذل الذاكرة أصحابها في بعض الأحيان، وتتضارب روايات شهود العيان أيضاً، ولكنني سعيت جاهداً لوصف الأحداث الماضية بقدر ما أمكنني من الدقة.

**الفصل الثاني: أيل تدهمه الأضواء**

ص (24) «أعطى الرئيس جورج بوش الأوامر»، انظر:

Bob Woodward, Plan of Attack (New York: Simon & Schuster, 2004), p. 2.

صـ (25) «أحاط مكتب فايث مخططاته لمرحلة ما بعـد الحرب»: لجأت، بجانب تغطيتي الخاصة، إلى مقالة جيمس فالو، انظر:

"Blind into Baghdad," The Atlantic, January 2004.

ص (27) «أوقف رمسفيلد، ما إن غادر غارنر»، انظر:

Dan Morgan, "Deciding Who Builds Iraq Is Fraught with Infighting," The Washington Post, May 4, 2003.

**الفصل الثالث: أنتم المسؤولون!**

صـ (40) «مثل بـول بريمر أحدهم»: كتـب بريمر، في كتابه «عامـي في العراق»، قائـلاً: إن الاتصال تم به، بشـأن الخدمة في العراق، من قبـل لويس «سكوتر» ليبي، كبير موظفي ديك تشيني، وبول وولفويتز، انظر:

My Year in Iraq (New York: Simon & Schuster, 2006).

**الفصل الرابع: مهوّس بالسيطرة**

ص (45) «ذكر الرجل لاحقاً»، انظر:

Bremer, My Year in Iraq, p. 10.

ص (47) «توجه هنري كيسنجر»: وصف ذلك اللقاء لي من قبل اثنين من العالمين، بصورة مباشرة، بما دار في أثنائه من حوار.

ص (48) «كتب بريمر في العام 2002»، انظر:

L. Paul Bremer III, "Corporate Governance and Crisis Management," Directors & Boards, January 1, 2002.

ص (49) «كان يبلغ الخمسين في حينه»، انظر:

Bill Powell, "The CEO of Iraq," Fortune, August 11, 2003.

ص (49) «حين أكمل أحد زواره»، انظر:

Patrick E. Tyler, "Overseer Adjusts Strategy as Turmoil Grows in Iraq," The New York Times, July 13, 2003.

ص (50) «افتتن بريمر بالعمل منذ شبابه»، انظر:

James T. Yenkel, "Couples: The Price of Success," The Washington Post, May 11, 1982.

ص (50) «تحول الزوجان، في العام 1994»، انظر:

Mark Zimmerman, "Iraq Envoy Says Faith Gives Him Strength," Catholic Standard, June 19, 2003.

ص (51) «عبر بريمر، في مذكرة إلى مسؤولي البنتاغون»، انظر:

Michael R. Gordon, "Debate Lingering on Decision to Dissolve the Iraqi Military," The New York Times, October 21, 2004.

obeikandl.com

ص (53) «حين اشتكى مسؤولو سلطة الائتلاف»: أقر بريمر بالخطأ المتمثل في ترك تطبيق اجتثاث البعث للمسؤولين العراقيين، قائلاً: «كان يجب أن يدار من قبل جهة قضائية مستقلة»، انظر:

Bremer, "In Iraq, Wrongs Make a Right," The New York Times, January 13, 2006.

**الفصل الخامس: من أولئك الناس؟**

ص (60) «قبل سنوات، حين عين كيريك»، انظر:

Christopher Drew, "A Street Cop's Rise from High School Dropout to Cabinet Nominee," The New York Times, December 3, 2004.

ص (61) «عمل كيريك في بداية المطاف»، انظر:

Hamza Hendawi, "Adviser: Iraq Police Reform to Be Tough," Associated Press, May 26, 2003; and NBC Today show transcript, May 27, 2003; and Romesh Ratnesar, "Can a New York Cop Tame Baghdad?," Time, June 9, 2003, p. 41.

ص (62) «اختلف ستيل، مستشار بريمر»: لجأت -بجانب تغطيتي الخاصة- إلى مقالة جون لي آندرسون، انظر:

"The Uprising: Shia and Sunnis Put Aside Their Differences," The New Yorker, May 3, 2004, p. 63.

ص (64) «كتب أحد موظفي السلطة السابقين»: نشرت الرسالة الإلكترونية، للمرة الأولى، في الموقع الإلكتروني لدانيال دريزنر، أستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو. تمت أرشفتها على العنوان الآتي:

http://www.danieldrezner.com/archives/001326.html.

ص (66) «لم يرق العمل في شركة العقارات كثيراً لجاي هالين»: تستند الاقتباسات عن هالين كافة، ما لم ترد بصيغ مختلفة، إلى نسخة عن مقابلته مع سوزان إم. كلينغامان، التابعة لجمعية الدراسات والتدريب الدبلوماسي، في الأول من تشرين الأول/ أكتوبر 2004، لحساب مشروع تجربة العراق، معهد السلام الأمريكي.

ص (67) «لم يكن هالين من يجازف وحده»، انظر:

Yochi J. Dreazen, "How a 24 ـــ Year ـــ Old Got a Job Rebuilding Iraq's Stock Market," The Wall Street Journal, January 28, 2004, p. A1.

ص (67) «في مسرح جامعة يال»، انظر:

Ann Ritter, "Rediscover Your Inner Child at 'The Lorax,'" Yale Herald, January 23, 1998.

ص (68) «تحدث هالين، بعد خمسة أيام من وصوله»، انظر:

Jay Hallen, "Greetings from Camp Arkansas," TCS Daily, September 23, 2003. Available on the Web at http://www.tcsdaily.com/article.aspx?id=092303E.

**الفصل السابع: أحضر كيساً من القماش**

ص (85) «لم يقر سينور، في أثناء اعتلائه المنبر»: أدلى سينور بتصريحه، عن عدم رغبة العراقيين في رحيل قوات التحالف، في مؤتمر صحفي لسلطة الائتلاف المؤقتة، في الرابع والعشرين من أيار/ مايو 2004. أشار استطلاع للرأي أجراه المعهد المستقل للإدارة ودراسات الأمن المدني، لحساب سلطة الائتلاف المؤقتة، بين 14 - 23 نيسان/ أبريل 2004، في ست من المدن العراقية الكبرى، بما يشمل بغداد، والبصرة، والموصل، إلى أن 55% من المشاركين عبّروا عن شعورهم «بمزيد من الأمن» حال رحيل قوات التحالف على الفور، بينما رغب 41% في مغادرة قوات التحالف «على الفور»، و45% في مغادرتها «بعد انتخاب حكومة دائمة»، في حين

عبـر 7%، لا أكثر، عن ثقتهم في قـوات التحالف. أشار استطلاع آخر أجراه المعهد، لحسـاب السلطة مجـدداً، بين 14 - 23 أيـار/ مايو 2004، إلى رغبـة 866، من بين 1068 مشاركاً، في مغادرة قوات التحالف العراق.

صـ (89) «اتجه فريق من الشبكة، بعد بضعة أيام»: تحدث مايكل فرلونغ، مدير مشروعـات شركة تطبيقـات العلوم الدولية في بغداد، وأحمـد الركابي، الصحافي العراقـي البـارز في شبكـة الإعـلام العراقيـة، قائلين: إنهمـا كانـا حاضرين في الاجتمـاع، حين سأل سينور نـورث عن السبب وراء عدم بث شبكة الإعلام العراقية الشريـط. أخبرني كلا الرجلين أنهما يذكران تعقيب نورث على سينور، علاوة على وصفهمـا مساءلـة سينور بريمر «بالمقابلـة»، لينفي سينور بالمطلـق مقابلة بريمر لحساب شبكة الإعلام العراقية.

ص (89) «تخوف طاقم الشبكة»، انظر:

Kathleen McCaul, "Troubles at Iraqi Media Network," Baghdad Bulletin, July 21, 2003.

ص (90) «وصل مايكل باتلز بغداد»، انظر:

Neil King, Jr., and Yochi J. Dreazen, "Amid Chaos in Iraq, Tiny Security Firm Found Opportunity," The Wall Street Journal, August 13, 2004, p. A1.

ص (91) «حظينا بالعقد»، انظر:

Ibid.

**الفصل الثامن: حنين إلى الماضي**

ص (109) «لِمَ تمثل إعادة الإعمار المادية»: تستند معظم الاقتباسات عن أغريستو إلـى عدد من المقابلات التي أجريتها معه في العراق والولايات المتحدة. نقلت بعض الاقتباسات، بالمقابل، من مخطوطة لم تنشر، أطلعني عليها.

obeikandl.com

**الفصل العاشر: تكشف الخطة**

ص (124) «لا أعتقد بعقلانية تسليم السيادة»، انظر:

Bremer, My Year in Iraq, p. 205.

ص (127) «هبطت طائرة بريمر في آندروز»، انظر:

Ibid., p. 224.

ص (130) «خاب ظني، في الحقيقة»، انظر:

Ibid., p. 231.

**الفصل الحادي عشر: مهمة عبثية**

ص (134) «بالرغم من انتقائيته في التعامل مع العراقيين»، انظر:

"Iraqi Hospitals to Regain First ـــ Class Status Quickly," Agence France Presse, February 27, 2004.

**الفصل الثاني عشر: لا يمكننا الاستمرار على هذا المنوال**

ص (146) «بعد بضعة أسابيع من وصوله إلى بغداد»: تستند الاقتباسات عن هالين كافة، ما لم ترد بصيغ مختلفة، كما ذكرت سابقاً، إلى نسخة عن مقابلته مع جمعية الدراسات والتدريب الدبلوماسي.

**الفصل الخامس عشر: ضرب من الجنون، إن لم يكن انتحاراً**

ص (175) «طغت رغبة الانتقام في واشنطن بكل الأحوال»: لجأت، بجانب تغطيتي الخاصة، إلى مقال أليسا جاي. روبن، ودويل مكمانوس، انظر:

"Why America Has Waged a Losing Battle on Fallouja," Los Angeles Times, October 24, 2004, p. A1.

obeikandl.com

obeikandl.com

راجيـف شاندراسيكاران: مديـر التحرير المساعد لصحيفـة الواشنطن بوست. عمل مديراً لمكتب الصحيفة في بغداد منذ نيسان/ أبريل 2003 إلى أيلول/ سبتمبر 2004، وقد سبق له تغطية الأخبار في أكثر من عشرين بلداً في آسية والشرق الأوسط. وهو يقيم في واشنطن العاصمة.

obeikandl.com